

[سورة الأحزاب : آية 21]

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ
كَثِيرًا (21)

بَعْدَ تَوْبِيخِ الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَقْبَلَ الْكَلَامَ عَلَى خِطَابِ الْمُؤْمِنِينَ فِي عُمُومِ
جَمَاعَتِهِمْ ثَنَاءً عَلَى ثَبَاتِهِمْ وَتَأْسِيهِمْ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهِمْ فِي
ذَلِكَ الْإِتِّسَاءِ، فَالْكَلَامُ خَبْرٌ وَلَكِنَّ اقْتِرَانَهُ بِحَرْفِي التَّوَكِيدِ فِي لَقَدْ يَوْمِيءُ إِلَى تَعْرِيزِ التَّوْبِيخِ
لِلَّذِينَ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِالْإِسْوَةِ الْحَسَنَةِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَلِذَلِكَ أُتِيَ بِالضَّمِيرِ
مُجْمَلًا ابْتِدَاءً مِنْ قَوْلِهِ لَكُمْ، ثُمَّ فُصِّلَ بِالْبَدَلِ مِنْهُ بِقَوْلِهِ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ
اللَّهَ كَثِيرًا، أَي: بِخِلَافِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ كَأَوْلِكَ، فَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ تَوْكِيدٌ لِلَّامِ
الَّتِي فِي الْمُبْدَلِ مِنْهُ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلِنَا وَآخِرِنَا [المائدة: 114] ، فَمَعْنَى
هَذِهِ الْآيَةِ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ بَرَاءةٍ فِي قِصَّةِ تَبُوكَ:

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ [التوبة: 87، 88] الْآيَةَ.

وَالْإِسْوَةُ بِكَسْرِ الهمزة وَضَمِّهَا اسْمٌ لِمَا يُؤْتَسَى بِهِ، أَي: يُفْتَدَى بِهِ وَيُعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ.
وَحَقُّ الْأُسْوَةِ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْتَسَى بِهِ هُوَ الْقُدْوَةُ وَلِذَلِكَ فَحَرْفُ فِي جَاءَ عَلَى أُسْلُوبِ مَا يُسَمَّى
بِالتَّجْرِيدِ الْمُفِيدِ لِلْمُبَالَغَةِ إِذْ يُجْرَدُ مِنَ الْمُوصُوفِ بِصِفَةِ مَوْصُوفٍ مِثْلِهِ لِيَكُونَ كَذَاتَيْنِ، كَقَوْلِ أَبِي
خَالِدٍ الْحَارِجِيِّ:

وَفِي الرَّحْمَانِ لِلضُّعْفَاءِ كَافِ أَي الرَّحْمَانِ كَافٍ. فَالْأَصْلُ: رَسُولُ اللَّهِ إِسْوَةٌ، فَقِيلَ: فِي رَسُولِ اللَّهِ
إِسْوَةٌ. وَجُعِلَ مُتَعَلِّقٌ الْإِتِّسَاءِ ذَاتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ وَصْفِ خَاصٍّ لِيَشْمَلَ
الْإِتِّسَاءَ بِهِ فِي أَقْوَالِهِ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ مَا يُنْهَى عَنْهُ، وَالْإِتِّسَاءَ بِأَفْعَالِهِ مِنَ الصَّبْرِ
وَالشَّجَاعَةِ وَالثَّبَاتِ. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ أُسْوَةٌ بِكَسْرِ الهمزة. وَقَرَأَ عَاصِمٌ بِضَمِّ الهمزة وَهَمَّا لُعْتَانِ.

وَلِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ بَدَلٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي لَكُمْ بَدَلٌ بَعْضٍ مِنْ كُلِّ أَوْ شَبَهَ الْإِشْتِمَالِ لِأَنَّ
الْمُخَاطَبِينَ بِضَمِيرِ لَكُمْ يَشْتَمِلُونَ عَلَى مَنْ يَرْجُونَ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، أَوْ هُوَ بَدَلٌ مُطَابِقٌ إِنْ
كَانَ الْمُرَادُ بِضَمِيرِ لَكُمْ خُصُوصُ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِي إِعَادَةِ اللَّامِ فِي الْبَدَلِ تَكْثِيرٌ لِلْمَعْنَى الْمَذْكُورَةِ
بِكثرة الاحتمالاتِ وَكُلٌّ يَأْخُذُ حِظَّهُ مِنْهَا.

فَالَّذِينَ اتَّخَذُوا بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ ثَبَتَ لَهُمْ أَنَّهُمْ مِمَّنْ يَرْجُونَ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا. وَفِيهِ تَعْرِيفٌ بِفَرِيقٍ مِنَ الَّذِينَ صَدَّهُمْ عَنِ الْإِثْسَاءِ بِهِ مِمَّنْ كَانُوا مُنَافِقِينَ أَوْ فِي
قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مِنَ الشُّكِّ فِي الدِّينِ.

وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى فَضْلِ الْإِفْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ الْإِسْوَةُ الْحَسَنَةُ لَا
مَحَالَةَ وَلَكِنْ لَيْسَ فِيهَا تَفْصِيلٌ وَتَحْدِيدٌ لِمَرَاتِبِ الْإِثْسَاءِ وَالْوَاجِبِ مِنْهُ وَالْمُسْتَحَبِّ وَتَفْصِيلُهُ فِي
أُصُولِ الْفِقْهِ. وَاصْطِلَاحُ أَهْلِ الْأُصُولِ عَلَى جَعْلِ النَّاسِي لِقَبَا لِاتِّبَاعِ الرَّسُولِ فِي أَعْمَالِهِ الَّتِي لَمْ
يُطَالَبْ بِهَا الْأُمَّةُ عَلَى وَجْهِ التَّشْرِيحِ. وَذَكَرَ الْفَرُطِيُّ عَنِ الْحَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ أَنَّهُ رُوِيَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ
حَسَّانَ الْمَجْرِيِّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ قَالَ: فِي جُوعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[سورة الأحزاب (33) : آية 22]

وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا
إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (22)

لَمَّا ذُكِرَتْ أَقْوَالُ الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ الْمُؤَذِّنَةُ بِمَا يُدَاخِلُ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْخَوْفِ وَقَلَّةِ
الْإِيمَانِ وَالشُّكِّ فِيمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّصْرِ ابْتِدَاءً مِنْ
قَوْلِهِ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ [الأحزاب: 12] قَوْلَيْتَ أَقْوَالُ أَوْلَيْكَ بِأَقْوَالِ
الْمُؤْمِنِينَ حِينَمَا نَزَلَتْ بِهِمُ الْأَحْزَابُ وَرَأَوْا كَثْرَتَهُمْ وَعَدَدَهُمْ وَكَانُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ تَفَوُّقِهِمْ عَلَيْهِمْ
فِي الْقُوَّةِ وَالْعَدَدِ أَضْعَافًا وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ قَدِ ابْتُلُوا وَزُلُّوا، كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يُخْزِعْ عَزَائِمَهُمْ وَلَا أَدْخَلَ
عَلَيْهِمْ شُكًّا فِيمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّصْرِ.

وَكَانَ اللَّهُ وَعَدَهُمُ بِالنَّصْرِ غَيْرَ مَرَّةٍ مِنْهَا قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالصَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ [البقرة: 214]. فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ الْأَحْزَابَ
وَابْتُلُوا وَزُلُّوا وَرَأَوْا مِثْلَ الْحَالَةِ الَّتِي وُصِفَتْ فِي تِلْكَ الْآيَةِ عَلِمُوا أَنَّهُمْ مَنْصُورُونَ عَلَيْهِمْ، وَعَلِمُوا
أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْوَعْدُ الَّذِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِآيَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

وَكَانَتْ آيَةُ الْبَقَرَةِ نَزَلَتْ قَبْلَ وَقْعَةِ الْأَحْزَابِ بِعَامٍ، كَذَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَيْضًا فَإِنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ الْمُسْلِمِينَ: أَنَّ الْأَحْزَابَ سَائِرُونَ إِلَيْكُمْ بَعْدَ تِسْعِ أَوْ عَشْرِ، فَلَمَّا

رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ وَزُلْزِلُوا رَاجِعَهُمْ الثَّبَاتُ النَّاشِئُ عَنْ قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَقَالُوا: هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَي: مِنَ النَّظَرِ وَمِنَ الْإِخْبَارِ بِمَسِيرِ الْأَحْزَابِ وَصَدَّقُوا وَعَدَّ اللَّهُ إِيَّاهُمْ بِالنَّصْرِ وَالْإِخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَسِيرِ الْأَحْزَابِ، فالإشارة ب هذا إلى ما شاهدوه من جيوش الأحزاب وإلى ما يتبع ذلك من الشدة والصبر عليها وكل ذلك وعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. ثم أخبروا عن صدق الله ورسوله عليه الصلاة والسلام فيما أخبرا به وصدقوا الله فيما وعدهم من النصر خلافاً لقول المنافقين: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً [الأحزاب: 12] فالوعد راجع إلى الأمرين والصدق كذلك.

والوعد: إخبارٌ مخبرٌ بأنه سيعمل عملاً للمخبر - بالفتح -.

فَفَعَلَ صَدَقَ فِيهَا حُكْمِي مِنْ قَوْلِ الْمُؤْمِنِينَ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْحَبْرِ عَنْ صِدْقِ مَضَى وَعَنْ صِدْقِ سَيَقَعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مُحَقَّقٍ وَفُوعُهُ بِحَيْثُ يُجْعَلُ اسْتِغْبَالُهُ كَالْمُضِيِّ مِثْلَ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ [التحل: 1] فَهُوَ مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَى التَّحْقِيقِ. أَوْ هُوَ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ فِي حَقِيقَتِهِ وَبِحَازِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ حَمَلَ الْفِعْلِ عَلَى الصِّدْقِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَنْسَبُ بِمَقَامِ الثَّنَاءِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْلَى بِإِنَاطَةِ قَوْلِهِمْ بِفَعْلٍ رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ دُونَ أَنْ يُقَالَ: وَلَمَّا جَاءَتِ الْأَحْزَابُ. فَإِنَّ أَبَيْتَ اسْتِعْمَالَ اللَّفْظِ فِي حَقِيقَتِهِ وَبِحَازِهِ فَاقْصُرُهُ عَلَى الْمَجَازِ وَاطْرَحِ احْتِمَالَ الْإِخْبَارِ عَنِ الصِّدْقِ الْمَاضِي.

وَضَمِيرُ زَادَهُمُ الْمُسْتَتِرُ عَائِدٌ إِلَى مَا عَادَ إِلَيْهِ اسْمُ الْإِشَارَةِ، أَي: وَمَا زَادَهُمْ مَا رَأَوْا إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا، أَي: بِعَكْسِ حَالِ الْمُنَافِقِينَ إِذْ زَادَهُمْ شَكًّا فِي تَحْقِيقِ الْوَعْدِ، وَالْمَعْنَى: وَمَا زَادَ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا إِيْمَانًا، أَي: مَا زَادَ فِي خَوَاطِرِ نَفْسِهِمْ إِلَّا إِيْمَانًا، أَي: لَمْ يَزِدْهُمْ خَوْفًا عَلَى الْخَوْفِ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَحْصُلَ لِكُلِّ مُتَرَقِّبٍ أَنْ يُنَازِلَهُ الْعَدُوُّ الشَّدِيدُ، بَلْ شَغَلَهُمْ عَنِ الْخَوْفِ وَالْهَلَعِ شَاغِلُ الْإِسْتِدْلَالِ بِذَلِكَ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ وَفِيمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ النَّصْرِ فَأَعْرَضَتْ نَفْسُهُمْ عَنِ خَوَاطِرِ الْخَوْفِ إِلَى الْإِسْتِشَارِ بِالنَّصْرِ الْمُتَرَقِّبِ.

وَالْتَسْلِيمُ: الْإِنْقِيَادُ وَالطَّاعَةُ لِأَنَّ ذَلِكَ تَسْلِيمُ النَّفْسِ لِلْمُنْقَادِ إِلَيْهِ، وَتَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا فِي سُورَةِ النَّسَاءِ [65]. وَمِنْ التَّسْلِيمِ هُنَا تَسْلِيمُ أَنْفُسِهِمْ لِمَلَاقَةِ عَدُوِّ شَدِيدٍ دُونَ أَنْ يَتَطَلَّبُوا الْإِلْقَاءَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الْعَدُوِّ وَأَنْ يُصَالِحُوهُ بِأَمْوَالِهِمْ. فَقَدْ

ذَكَرَ ابْنُ

إِسْحَاقَ وَعَيْرُهُ أَنَّهُ لَمَّا اشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ اسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّعْدَيْنِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَسَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فِي أَنْ يُعْطِيَ ثُلُثَ ثَمَارِ الْمَدِينَةِ تِلْكَ السَّنَةِ عُيَيْنَةَ بِنِ حِصْنٍ، وَالْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ وَهُمَا قَائِدَا غَطَفَانَ عَلَى أَنْ يَرْجِعَا عَنِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْوَى أَمْرٌ نُحِبُّهُ فَتَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْءٌ أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ لَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْءٌ تَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَيِّ رَأَيْتَ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدٍ وَكَالْبُؤُكُمُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَى أَمْرِ مَا. فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى الشَّرْكِ بِاللَّهِ لَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا ثَمَرَةً وَاحِدَةً إِلَّا قَرَى أَوْ بَيْعًا أَفْحِينِ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا إِلَيْهِ وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا؟ مَا لَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَاللَّهِ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَنْتَ وَذَلِكَ. فَهَذَا مَوْقِفُ الْمُسْلِمِينَ فِي تِلْكَ الشَّدَّةِ وَهَذَا تَسْلِيمُ أَنْفُسِهِمْ لِلْقِتَالِ.

وَمِنَ التَّسْلِيمِ الرِّضَى بِمَا يَأْمُرُ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الثَّبَاتِ مَعَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: **وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء: 65]**.

وَإِذْ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ لِقَوْلِهِ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ إِلَى آخِرِهِ ... فَقَدْ تَعَيَّنَ أَنَّ الْإِيمَانَ الَّذِي زَادَهُمْ ذَلِكَ هُوَ زِيَادَةٌ عَلَى إِيْمَانِهِمْ، أَيُّ: إِيْمَانٌ مَعَ إِيْمَانِهِمْ. وَالْإِيمَانُ الَّذِي زَادَهُمْ أُرِيدَ بِهِ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ إِيْمَانِهِمُ الْقَوِيِّ، فَجَعَلَ تَكَرُّرُ مَظَاهِرِ الْإِيمَانِ وَأَثَارِهِ كَالزِّيَادَةِ فِي الْإِيمَانِ لِأَنَّ تَكَرُّرَ الْأَعْمَالِ يُقْوِي الْبَاعِثَ عَلَيْهَا فِي النَّفْسِ يَبَاعِدُ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ الشُّكِّ وَالْإِرْتِدَادِ فَكَأَنَّهُ يَزِيدُ فِي ذَلِكَ الْبَاعِثِ، وَهَذَا مِنْ قِبَلِ قَوْلِهِ تَعَالَى:

لِيُزَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ [الفتح: 4] وَقَوْلِهِ: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ [124] ، فَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي ضِدِّ الزِّيَادَةِ وَهُوَ النَّقْصُ، وَإِلَّا فَإِنَّ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ وَهُوَ التَّصَدِيقُ بِالشَّيْءِ إِذَا حَصَلَتْ بِمَقْوَمَاتِهَا فَهِيَ وَاقِعَةٌ، فزِيَادَتُهَا تَحْصِيلُ حَاصِلِ وَنَقْصُهَا نَقْضُهَا وَانْتِفَاءُ لِأَصْلِهَا. وَهَذَا هُوَ مَحْمَلُ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ إِضَافَةِ الزِّيَادَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَكَذَلِكَ مَا يُضَافُ إِلَى الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ مِنَ الزِّيَادَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا [التَّوْبَةُ: 97] وَقَوْلِهِ: وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ [التَّوْبَةُ: 125]. وَإِلَى هَذَا الْمَحْمَلِ يَرْجِعُ خِلَافَ الْأَيْمَةِ فِي قَبُولِ الْإِيمَانِ الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَ فَيُؤَوَّلُ إِلَى خِلَافِ لَفْظِي.